والاستفهام إما تقريري ليشهد الطغاة من أهل المحشر على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا مخطئين فيما يزعمونه لأنفسهم من ملك لأصنامهم حين يضيفون إليها التصرف في ممالك من الأرض والسماء مثل قول اليونان بإله البحر وإله الحرب وإله الحكمة وقول أقباط مصر بإله الشمس وإله الموت وإله الحكمة وقول العرب باختصاص بعض الأصنام ببعض القبائل مثل اللات لثقيف وذي الخلصة لدوس ومناة للأوس والخزرج . وكذلك ما يزعمونه لأنفسهم من سلطان على الناس لا يشاركهم فيه غيرهم كقول فرعون (ما علمت لكم من إله غيري) وقوله (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) وتلقيب أكاسرة الفرس أنفسهم بلقب : ملك الملوك " شاهنشاه " وتلقيب ملوك الهند أنفسهم بلقب ملك الدنيا " شاه جهان " ويفسر هذا المعنى ما في الحديث في صفة يوم الحشر (ثم يقول ا أنا الملك أين ملوك الأرض) استفهاما مرادا منه تخويفهم من الظهور يومئذ أي أين هم اليوم لماذا لم يظهروا بعظمتهم وخيلائهم .

ويجوز أيضا أن يكون الاستفهام كناية عن التشويق إلى ما يرد بعده من الجواب لأن الشأن أن الذي يسمع استفهاما يترقب جوابه فيتمكن من نفسه الجواب عند سماعه فضل تمكن على أن حصول التشويق لا يفوت على اعتبار الاستفهام للتقرير وقريب منه (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) .

و (اليوم) المعروف باللام هو اليوم الحاضر وحضوره بالنسبة إلى القول المحكي أنه يقال فيه أي اليوم الذي وقع فيه هذا القول كما هو شأن أسماء الزمان الظروف إذا عرفت باللام .

وجملة (ﷲ الواحد القهار) يجوز أن تكون من بقية القول المقدار الصادر من جانب ا تعالى بأن يصدر من ذلك الجانب استفهام ويصدر منه جوابه لأنه لما كان الاستفهام مستعملا في التقرير أو التشويق كان من الشأن أن يتولى الناطق به الجواب عنه ونظيره قوله تعالى (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) .

ويجوز أن تكون مقول قول آخر محذوف أي فيقول المسؤولون (ﷲ الواحد القهار) إقرار منهم بذلك والتقدير : فيقول البارزون ﷲ الواحد القهار فتكون معترضة .

وذكر الصفتين (الواحد القهار) دون غيرهما من الصفات العلى لأن لمعنييهما مزيد مناسبة بقوله (لمن الملك اليوم) حيث شوهدت دلائل الوحدانية ﷲ وقهره جميع الطغاة والجبارين .

(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن ا سريع الحساب [17]) لا ريب في ان هذه الجمل الثلاث متصلة بالمقول الصادر من جانب ا تعالى سواء كان مجموع الجملتين السابقتين مقولا واحدا أم كانت الثانية منهما من مقول أهل المحشر .

وترتيب هذه الجمل الخمس هو أنه لما تقرر أن الملك وحده في ذلك اليوم بمجموع الجملتين السابقتين عددت آثار التصرف بذلك الملك وهي الحكم على العباد بنتائج أعمالهم وأنه حكم عادل لا يشوبه ظلم وأنه عاجل لا يبطئ لأن ا لا يشغله عن إقامة الحق شاغل ولا هو بحاجة إلى التدبر والتأمل في طرق قضائه وعلى هذه النتائج جاء ترتيب (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) ثم (إن ا سريع الحساب) . وأما مواقع هاته الجمل الثلاث فإن جملة (اليوم تجزى) الخ واقعة موقع البيان لما في جملة (لمن الملك اليوم) وجوابها من إجمال وجملة (لا ظلم اليوم) واقعة موقع بدل الاشتمال من جملة (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) أي جزاء عادلا لا ظلم فيه أي ليس فيه أقل شوب من الظلم حسبما اقتضاه وقوع النكرة بعد (لا) النافية للجنس .

وتعريف (اليوم) في قوله (اليوم تجزى كل نفس) وقوله (لا ظلم اليوم) نظير تعريف (لمن الملك اليوم) وجملة (أن ا سريع الحساب) واقعة موقع التعليل لوقوع الجزاء في ذلك اليوم ولانتفاء الظلم عن ذلك الجزاء . وتأخيرها عن تينك الجملتين مشير إلى أنها علة لهما فحرف التوكيد واقع موقع فاء السببية كما هو شأن (إن) إذا جاءت في غير مقام رد الإنكار فسرعة الحساب تقتضي سرعة الحكام . وسرعة الحكم تقتضي تملؤ الحاكم من العلم بالحق ومن تقدير جزاء كل عامل على عمله دون تردد ولا بحث لأن الحاكم علام الغيوب فكان قوله (سريع الحساب) علة لجميع ما تقدمه في هذا الغرض . والمعنى : أن ا محاسبهم حسابا سريعا لأنه سريع الحساب .

A E